قراءة في صيغة محراب في القرآن الكريم

أ.د. خديجة زبار الحمداني و أ.م.د. محمد ضياء الدين خليل إبراهيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

أمّا بعد:

فإنّ موضوع بحثنا((قراءة في صيغة محراب في القرآن الكريم))، يعد من الموضوعات المهمة التي تستحق الوقوف والتقصي والبحث حولها للوصول إلى نتيجة مهمة تخص كلمة(محراب) ودلالتها في الكلام وفي القرآن الكريم، إذ وردت كلمة محراب خمس مرات في القرآن الكريم، وتعددت آراء المفسرين في تحديد أصلها ومعناها.

وقد وجدنا من خلال البحث أنّ الكلمة تندرج تحت وزن (مِفْعَال) وأغلب آراء المفسرين والمعجمات تنص على أنّها المسجد وليس المسجد كله، إنّما ما ارتفع من الأرض، أي: الأماكن المرتفعة، وفي البدء كانت كلمة(محراب) تطلق على البيت، أي: صدر المجلس من البيت، أي: أرفع المواضع والمباني، وهذا يدل على أنّها اسم مكان، لكن الذي يستحق الوقوف أنّ صيغة (مِفْعَال) ليست من أبنية أسماء الزمان أوالمكان ،وإنّما تكون(اسم آلة) وصيغة (مبالغة)، وهذا الأمر جعلنا نبحث عن السبب في هذه التسمية، ولمَ اطلقت على المسجد، وللوصول إلى النتائج المطلوبة، اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مطلبين: المطلب الأول: وقد جاء بعنوان:((تأصيل اللفظة في المعجمات))، وقد تناولنا في هذا المطلب تأصيل اللفظة والبحث عن دلالتها في المعاجم العربية. والمطلب الثاني: وقد جاء بعنوان:((صيغة(محراب)في التفاسير والكتب اللغوية))، وقد تناولنا في هذا المطلب دلالة كلمة المحراب بالرجوع إلى كتب التفسير وغيرها من المصادر اللغوية.

وختاماً: نرجو أن تكون هذه الدراسة قد أعطت الموضوع حقه وأن يفيد منه الباحثون مثلما أفاد البحث من غيره.

المطلب الأول
تأصيل اللفظة في المعجمات

جاء في العين:((وحَرِبَ فلان حَرَباً: أُخِذَ مالُه فهو حَرِبٌ مَحْرُوب حَرِيبٌ... والمِحْرابُ عند العامَّة اليوم: مَقامُ الإمام في المسجد. وكانت مَحاريبُ بني إسرآئيل مَساجدَهم التي يجتَمِعُون فيها للصَّلاة. والمحراب: الغرفة قال امرؤ القيس:

كغزلان رَمْل في مَحاريبِ أقيالِ

والمِحرابُ: عُنُق الناقة...))(١).

فالخليل يذهب إلى أنّ العامة تستعملها بمعنى مقام الإمام في المسجد.

وجاء معناها في الجمهرة:((وَرجل محرب ومحراب إِذا كَانَ صَاحب حَرْب. ومحراب الْبَيْت: صَدره وَأكْرم مَوضِع فِيهِ. وَبِه سمي محراب الْمَسْجِد. والمحراب أَيْضا: الغرفة، وأنشدنا أَبُو حَاتِم عَن الْأَصْمَعِي لوضاح الْيمن:

رُبَة محرّاب إذا جِئْتَهَا

لم أدن حَتَّى أرتقي سُلَماَ ...))(٢).

فابن دريد يرى أنّ معناها صدر البيت وأكرم موضع فيه، ثم به سُمِيَ محراب المسجد. وورد في الجمهرة كذلك في مادة (ا ح ب)((الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا السَّلْبُ، وَالْآخَرُ دُوَيْبَّةٌ، وَالثَّالِثُ بَعْضُ الْمَجَالِسِ...الْمِحْرَابُ، وَهُوَ صَدْرُ الْمَجْلِسِ، وَالْجَمْعُ مَحَارِيبُ...))(٣).

وقد ذكر الجوهري معناها بقوله:((وحَرِبَ الرجل بالكسر: اشتدّ غضبه. ورجل حَرِبٌ وأسد حَرِبٌ...قال الفراء: المحاريب، صدور المجالس، ومنه سُمِّيَ محراب المسجد، والمحراب الغُرفة...))(٤)، فالجوهري يذهب إلى أنّ الفرّاء هو من سمّى صدور المجالس بالمحاريب.

وجاء في المخصص: ((محراب البيت: صدره وأكرم موضع فيه وجَوّه: داخة...والمحاريب واحدها عزمة، وقد تقدم أنّه صدر البيت...))(٥).

وورد في اللسان عن كلمة

محراب:((ورجُلٌ حَرْبٌ ومِحْرَبٌ، بكَسْرِ المِيم، ومِحْرابٌ: شَديدُ الحَرْبِ، شُجاعٌ؛ وَقيلَ: مِحْرَبٌ ومِحْرابٌ: صَاحِبُ حَرْبٍ... وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: فابعثْ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً، أَي: مَعْرُوفاً بالحَرْبِ، وَالمِيمُ مَكْسُورَةٌ، وَهُوَ مِنْ أَبْنِيَةِ المُبالغة، كالمِعْطاءِ، مِنَ العَطاءِ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ فِي عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: مَا رأيتُ مِحْرَباً مِثْلَه...))(٦).

نلحظ من خلال هذا النص أنّ كلمة(محراب)هي من صيغ المبالغة؛ لأنّها على زنة(مِفعال).

وجاء في اللسان أيضاً:((والمِحْرابُ: صَدْرُ البَيْتِ، وأَكْرَمُ مَوْضِعٍ فيه، وَهُوَ أَيضاً الغُرْفَةُ...والمِحْرابُ عِنْدَ العَامَّةِ: الَّذي يُقِيمُه النَّاسُ اليَوْمَ مَقام الإمام في المَسْجِد...والمَحاريب: صُدُور المَجالِس، وَمِنْهُ سُمِّي مِحْرابُ المَسْجِد، وَمِنْهُ مَحارِيبُ غُمْدانَ باليَمَن. والمِحْرابُ: القِبْلَةُ. ومِحْرابُ المَسْجِد أَيضاً: صَدْرُه وأَشْرَفُ مَوْضِعٍ فيه. ومَحارِيبُ بَنِي إسرائيلَ: مَسَاجِدُهم الَّتِي كَانُوا يَجلسون فيهَا؛ وَفِي التَّهْذِيب: الَّتِي يَجْتَمِعُون فيهَا لِلصَّلَاةِ ...)) يظهر من هذا النص أنّ كلمة(محراب) جاءت اسم مكان على الرغم من أنّ أبنية اسماء المكان لم ترد على زنة (مِفعّال).

نستنتج مِمّا تقدم ذكره من النقل عن أصحاب المعجمات في تأصيل كلمة(محرّاب) أنّها تجمع بين معنيين: صيغة المبالغة، واسم مكان.

المطلب الثاني
صيغة (محراب) في التفاسير والكتب اللغوية

جاءت كلمة محراب في القرآن الكريم في خمس آيات هي:

١ــ قال تعالى:((كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا))(٧).

٢ــ قال تعالى:((فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ...))(٨).

٣ــ قال تعالى:((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا))(٩).

٤ــ قال تعالى:((وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ))(١٠).

٥ــ قال تعالى:((يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ))(١١).

قال الطبري في تفسير لفظة محراب:((وأمّا المحراب: فهو مقدم كل مجلس ومصلّى، وهو سيد المجالس وأشرفُها وأكرمُها، وكذلك هو من المساجد، ومنه قول عديّ بن زيد:

كَدُمَى العَاجِ فِي المَحَارِيبِ أَوْ كَال
بَيْضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ

والمحاريب جمع محراب، وقد يجمع على محارب))(١٢).

وقال الراغب الأصفهاني عن أصلها:((الحَرْبُ معروف...ومِحرابُ المسجد، قيل: سمّي بذلك لأنّه موضع محاربة الشيطان والهوى، وقيل: سمّي بذلك لكون حقّ الإنسان فيه أن يكون حريبا من أشغال الدنيا ومن توزّع الخواطر، وقيل: الأصل فيه أنّ محراب البيت صدر المجلس، ثم اتّخذت المساجد فسمّي صدره به، وقيل: بل المحراب أصله في المسجد، وهو اسم خُصَّ به صدر المجلس، فسمّي صدر البيت محرابا تشبيها بمحراب المسجد، وكأنّ هذا أصح...))(١٣).

نلحظ مِمّا ذكره الراغب كأنّ اللفظة أصابها بعض التطور الدلالي إذ كانت في البدء تطلق على صدر المجلس، ثم أصبحت تستعمل للمساجد.

وقال ابن عطية في اصل كلمة (محراب): ((والمِحراب أرفع المواضع والمباني إذ هي تحارب من ناوأها ثم خص بهذا الاسم مبنى الصلاة، وكانوا يتخذونها فيما ارتفع من الأرض، واختلف الناس في اشتقاقه، فقالت فرقة: هو مأخوذ من الحرب كأنّ ملازمه يحارب الشيطان والشهوات، وقالت فرقة: هو مأخوذ من الحرب بفتح الراء كأنّ ملازمه يلقى منه حرباً وتعباً ونصباً، وفي اللفظ بعد هذا نظر...))(١٤).

وذكر في موضع آخر معنى(محراب) من خلال كلمة (محاريب) إذ قال:((المحاريب الأبنية العالية الشريفة، قال قتادة القصور والمساجد، وقال ابن زيد: المساكن، والمحراب أشرف موضع في البيت، والمحراب موضع العبادة أشرف ما يكون منه، وغلب عرف الاستعمال في موضع وقوف الإمام لشرفه ...)).

كان ابن عطية يجدد استعمالها في موضع وقوف الإمام لشرفه إذ انتقل من حق أشرف موضع في المساكن إلى موضع العبادة.

أمّا الزمخشري فقد ذكر رأياً في لفظة(محراب)إذ قال:((قيل: بنى لها زكريا محرابا في المسجد، أي: غرفة يصعد إليها بسلم. وقيل: المحراب أشرف المجالس ومقدّمها، كأنّها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس. وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحاريب. وروى أنّه كان لايدخل عليها إلّا هو وحده، وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب...))(١٥).

نلحظ في رأي الزمخشري بأنّه عبارة عن أقوال لاتنسب إلى عالم معين فقط يذكر(قيل).

أمّا الطبرسي فقد ذكر آراءً مقدمة في تأصيل لفظة(محراب) من ذلك((والمحراب، مقام الإمام من المسجد، وأصله أكرم موضع في المجلس وأشرفه...ويقال للمسجد أيضا محراب ومنه(ما يشاء من محاريب)،أي: مساجد، وقيل: إنّه أخذ من الحرب؛ لأنّه يحارب فيها الشيطان...))(١٦).

وقال في موضع آخر:((...وسمي المحراب محرابا؛ لأنّ المتوجه إليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته، والأصل فيه مجلس الأشراف الذي يحارب دونه ذبا عن أهله...))(١٧).

وذكر أيضاً قولاً منقولاً عن المبرّد يفرد بعض الخصوصية، إذ قال:((قال المبرّد، لايسمى محراباً إلّا مايرتقى إليه بدرج...))(١٨).

وذكر الرازي أيضاً قولاً نسبه إلى الأصمعي موضحاً فيه أنّ المحراب هو الغرفة إذ قال:((الْمِحْرابَ الْمَوْضِعَ الْعَالِيَ الشَّرِيفَ...الْأَصْمَعِيُّ عَلَى أَنَّ الْمِحْرَابَ هُوَ الْغُرْفَةُ بِقَوْلِه تَعَالَى:((إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)) وَالتَّسَوُّرُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عُلُوٍّ، وَقِيلَ: الْمِحْرَابُ أَشْرَفُ الْمَجَالِسِ وَأَرْفَعُهَا، يُرْوَى أَنَّهَا لَمَّا صَارَتْ شَابَّةً بَنَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا غُرْفَةً فِي الْمَسْجِدِ، وَجَعَلَ بَابَهَا فِي وَسَطِه لَا يُصْعَدُ إِلَيْهِ إِلَّا بِسُلَّمٍ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ))(١٩)،وهذا الرأي موافق لِمَا ذكره الطبرسي نقلاً عن المبرّد.

أمّا البيضاوي، فقد قال في أصل(كلمة محراب):((الْمِحْرابَ، أي: الغرفة التي بنيت لها، أو المسجد، أو أشرف مواضعه ومقدمها، سمي به لأنّه محل محاربة الشيطان، كأنّها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس))(٢٠).

قال ابن كثير عن قوله:((فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ))،أَيْ: خَاطَبَتْهُ الْمَلَائِكَةُ شِفَاهًا خِطَابًا أَسْمَعَتْهُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِحْرَابِ عِبَادَتِه، وَمَحَلِّ خَلْوَتِه، وَمَجْلِسِ مُنَاجَاتِه، وَصَلَاتِه... الْمَحَارِيبُ فَهِيَ الْبِنَاءُ الْحَسَنُ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَيْءٍ فِي الْمَسْكَنِ وَصَدْرُهُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَحَارِيبُ بُنْيَانٌ دُونَ الْقُصُورِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ الْمَسَاجِدُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ الْمَسَاجِدُ وَالْقُصُورُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هِيَ الْمَسَاكِنُ ...))(٢١).

نلحظ ممّا ذكره ابن كثير في دلالة المحاريب مستوى بين البنيان دون القصور، وبين المساجد والمساكن.

ومن المفسرين من ذهب إلى أنّها صيغة مبالغة، إذ قال السمين الحلبي في ذلك:((المحراب مفعَال من ذلك، قيل: سميّ لذلك؛ لأن الإنسان يحارب فيه شيطانه وهواه، وقيل: لأنّ حقّ الإنسان أن يكون حريباً من أشغال الدنيا ومن توزع الخاطر فيه، وقيل: الأصل فيه أنّ محراب البيت صدر المجلس، ثم اتحذ المسجد سمي صدره به، وقيل: بل المحراب أصلهُ في المسجد، وهو اسم خُصَّ به صدر المجلس وسُمي صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد))(٢٢)،وهذا ما ذهب إليه الآلوسي أيضاً إذ قال:((... والمحراب على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما غرفة بنيت لها في بيت المقدس، وجعل بابها في وسط الحائط، وكانت لايصعد عليها إلّا بسلم مثل باب الكعبة، وقيل: المراد به المسجد إذ قد كانت مساجدهم تسمى المحاريب وقيل: أشرف مواضعه ومقدمها وهو مقام الإمام من المسجد في رأي، وأصله مفعال صيغة مبالغة كمطعان فسمي به المكان؛ لأنّ المحاربين نفوسهم كثيرون فيه، وقيل: إنّه يكون اسم مكان وسمي به؛ لأنّ محل محاربة الشيطان فيه أو لتنافس الناس عليه...))(٢٣).

نلحظ ممّا ذكره المفسرون عن لفظة(محراب)أنّها اسم مكان لاشرف المجالس، ومقدمها ثم تنوعت هذه المجالس إلى التي أطلق عليها لفظة(محراب)، وبعضهم ذهب إلى أنّها(صيغة مبالغة) على زنة(مِفعال)؛ لأنّ الانسان فيه يحارب الشيطان بكثرة.

أمّا ابن عاشور فقد تبع تاصيل اللفظة زمنياً ناسباً كل قول ذكر منها، إذ قال:((وَالْمَحَارِيبُ: جَمْعُ مِحْرَاب، وَهُوَ الْحِصْنُ الَّذِي يُحَارَبُ مِنْهُ الْعَدُوُّ وَالْمُهَاجِمُ لِلْمَدِينَة، أَوْ لِأَنَّهُ يُرْمَى مِنْ شُرُفَاته بِالْحِرَاب، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْقَصْرِ الْحَصِينِ. وَقَدْ سَمَّوْا قُصُورَ غُمْدَانَ فِي الْيَمَنِ مَحَارِيبَ غُمْدَانَ. وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ فِي هَذِه الْآيَة. ثُمَّ أُطْلِقَ الْمِحْرَابُ عَلَى الَّذِي يُخْتَلَى فِيه لِلْعِبَادَة فَهُوَ بِمَنْزِلَة الْمَسْجِدِ الْخَاصِّ، قَالَ تَعَالَى: فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ وَتَقَدَّمَ فِي سُورَة آل عِمْرَانَ(٣٩). وَكَانَ لِدَاوُدَ مِحْرَابٌ يَجْلِسُ فِيه لِلْعِبَادَة قَالَ تَعَالَى: وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ فِي سُورَة ص(٢١).

وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْمِحْرَابِ عَلَى الْمَوْضِعِ مِنَ الْمَسْجِدِ الَّذِي يَقِفُ فِيه الْإِمَامُ الَّذِي يؤمّ النَّاسَ، يُجْعَلُ مِثْلَ كُوَّةٍ غَيْرِ نَافِذَة وَاصِلَة إِلَى أَرْضِ الْمَسْجِدِ فِي حَائِطِ الْقِبْلَة يَقِفُ

الْإِمَامُ تَحْتَهُ، فَتَسْمِيَةُ ذَلِكَ مِحْرَابًا تَسْمِيَةٌ حَدِيثَةٌ وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَعْيِينِ الزَّمَنِ الَّذِي ابْتُدِئَ فِيهِ إِطْلَاقُ اسْمِ الْمِحْرَابِ عَلَى هَذَا الْمَوْقِفِ. وَاتِّخَاذُ الْمَحَارِيبِ فِي الْمَسَاجِدِ حَدَثَ فِي الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ، وَالْمَظْنُونُ أَنَّهُ حَدَثَ فِي أَوَّلِهَا فِي حَيَاةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ لِأَنَّهُ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ تَنَزَّهَ عَنِ الْجُلُوسِ فِي الْمَحَارِيبِ وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ الطَّاقَ أَوِ الطَّاقَةَ ، وَرُبَّمَا سَمَّوْهُ الْمَذْبَحَ، وَلَمْ أَرَ أَنَّهُمْ سَمَّوْهُ أَيَّامَئِذٍ مِحْرَابًا، وَإِنَّمَا كَانُوا يُسَمُّونَ بِالْمِحْرَابِ مَوْضِعَ ذَبْحِ الْقُرْبَانِ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ:

دُمْيَةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ قِسِّيسٍ
صَوَّرُوهَا فِي مَذَابِحِ الْمِحْرَابِ

وَالْمَذْبَحُ وَالْمِحْرَابُ مُقْتَبَسَةٌ مِنَ الْيَهُودِ لِمَا لَا يَخْفَى مِنْ تَفَرُّعِ النَّصْرَانِيَّةِ عَنْ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ.

وَمَا حُكِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ إِنْ صَحَّ فَإِنَّمَا يُعْنَى بِهِ بَيْتٌ لِلصَّلَاةِ خَاصٌّ. وَرَأَيْتُ إِطْلَاقَ الْمِحْرَابِ عَلَى الطَّاقَةِ الَّتِي فِي الْمَسْجِدِ فِي كَلَامِ الْفَرَّاءِ ، أَيْ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الثَّانِي، نَقَلَ الْجَوْهَرِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْمَحَارِيبُ صُدُورُ الْمَجَالِسِ وَمِنْهُ سُمِّيَ مِحْرَابُ الْمَسْجِدِ؛ لِأَنَّ الْمِحْرَابَ لَمْ يَبْقَ حِينَئِذٍ مُطْلَقًا عَلَى مَكَانِ الْعِبَادَةِ.

وَمِنَ الْغَلَطِ أَنْ جَعَلُوا فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَقْرُبُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُصَلِّي فِيهِ صُورَةَ مِحْرَابٍ مُنْفَصِلٍ يُسَمُّونَهُ مِحْرَابَ النَّبِيِّ(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)وَإِنَّمَا هُوَ عَلَامَةٌ عَلَى تَحَرِّي مَوْقِفِهِ.

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ ابْتَدَأُوا فَجَعَلُوا طَاقَاتٍ صَغِيرَةً عَلَامَةً عَلَى الْقِبْلَةِ لِئَلَّا يَضِلَّ الدَّاخِلُ إِلَى الْمَسْجِدِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ فَإِنَّ ذَلِكَ يَقَعُ كَثِيراً، ثُمَّ وَسَّعُوهَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى صَيَّرُوهَا فِي صُورَةِ نِصْفِ دِهْلِيزٍ صَغِيرٍ فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ يَسَعُ مَوْقِفَ الْإِمَامِ، وَأَحْسَبُ أَنَّ أَوَّلَ وَضْعِهِ كَانَ عِنْدَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ الْأُمَوِيِّ فِي دِمَشْقَ، ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمَرَ بِجَعْلِهِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ حِينَ وَسَّعَهُ وَأَعَادَ بِنَاءَهُ ، وَذَلِكَ فِي مُدَّةِ إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْمَدِينَةِ حَسْبَمَا ذَكَرَ السَّمْهُودِيُّ فِي كِتَابِ(خُلَاصَةِ الْوَفَا بِأَخْبَارِ دَارِ الْمُصْطَفَى))(٢٤).

لو عدنا إلى كتب اللغة نجد أنّ صيغة(مِفْعَال)لم تأت ضمن أبنية اسمي المكان والزمان، الذي جاء فيها هما وزنان(مَفْعِل ومَفعَل)تحت ضوابط معينة ذكرها سيبويه ومن تلاه من اللغويين إذ قال سيبويه:((وأمّا ما كان يَفْعَل منه مفتوحاً، فإنّ اسم المكان يكون مفتوحا، كما كان الفعل مفتوحا، وذلك قولك: شرب يشرب، وتقول للمكان مشربٌ، ولبس يلبس ملبس...ويقولون المذهب للمكان...وأمّا ما كان يفعل منه مضموماً فهو بمنزلة ما كان يفعل منه مفتوحاً...وذلك قولك قتل يقتل مقتلاً...وقالوا: يقوم وهذا مقام...)) (٢٥)، وتكون((مَفْعَل قياساً أيضاً من الفعل الناقص))المعتل الآخر، وهذا ما ذكره ابن السراج(٢٦).

أمّا الوزن الآخر(مَفْعِل)فإنّه يكون قياسيا في كل فعل ثلاثي صحيح الآخر مكسور العين في المضارع أو معتل الأول، قال سيبويه:((أمّا ما كان من فعل يَفْعِل فإن موضع الفعل(مَفْعِل)، وذلك قولك: مَحْبِسنا، ومضربنا، ومجلسنا، كأنّهم بنوه على بناء يَفْعِل، فكسروا العين...)) (٢٧)، وقال أيضاً:((فكل شيءٍ كان من هذا مَفْعِل، فإنّ المصدر منه من بنات الواو والمكان يبنى على(مَفْعِل)، وذلك قولك للمكان: الموعد، والموضع، والمورد...)) (٢٨).

جاءت صيغة (مِفْعَال) في الكتب اللغوية من ابنية اسماء الآلة القياسية في الكلام قال سيبويه: ((هذا باب ما عالجت به المقص فالذي يقص به، والمقص: المكان والمصدر، وكل شيءٌ به فهو مكسور الأول، كانت فيه هاء التأنيث أو لم تكن، وذلك قولك: مِحْلَب ومِنْجل، ومكسحةٌ ومسلة والمصفى...وقد يجيء على مِفْعَال، نحو: مقراض ومفتاح ومصباح...وقالوا: المسرجة، كما قالوا: المكسحة...))(٢٩).

وقد ذُكِرَ في كتب اللغة أنّ صيغة(مِفْعَال) في أبنية المبالغة قال سيبويه:((وأجروا اسمَ الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا فى الأمر، مُجراه إذا كان على بناء فاعل؛ لأنّه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلّا أنّه يريد أن يُحدّثَ عن المبالغة، فمَا هو الأصلُ الذى عليه أكثُر هذا المعنى: فَعَول، وفَعّال، ومِفْعَال وفَعِل ...)) (٣٠).

نلحظ مما ذكرناه من أنّ صيغة(مِفْعَال)لم ترد ضمن ابنية اسمي المكان والزمان، إنّما جاءت(اسم آلة) وصيغة مبالغة.

وكانت دلالتها في الكلام، هي لمن اعتاد الفعل أو دام فيه، قال الفارابي:((إذا كان الاسمُ على مِفْعَال أو مِفعيل فالجمع منه على مفاعيل، وهما لمن دام منه الفعل)) (٣١).

وقال ابن قتيبة: إنّ مفعالا((يكونُ لِمَنْ دامَ منه الشيءُ أو جَرَى على عادة فيه تقولُ: رَجل مِضْحَاك ومِهْذَار ومِطْلاق إذا كان مُديماً للضَّحك والهَذْرِ والطلاق...)) (٣٢).

نخلص من هذه الأقوال أنّ كلمة محراب هي صيغة مبالغة في الأصل اطلقت على مكان محاربة الشيطان، وكذلك أطلق على المكان العالي، وهو سيد المجالس واترفها واكرمها، واختيرت له زنة(مِفْعَال)لقوة دلالتها لأنّها تدل على من اعتاد الفعل أو دام فيه لأنّ محاربة الشيطان تتطلب الدوام والاستمرار، أي: أنّ(محراب)أصلها صيغة مبالغة، ثم لقوة دلالتها في الكلام، استعير بها للدلالة على المكان الذي له خصوصية معينة هو الذي يكون لمحاربة الشيطان تحتاج إلى استمرار دائم.

الخاتمة

نخلص من هذه الأقوال أنّ كلمة محراب هي صيغة مبالغة في الأصل اطلقت على مكان محاربة الشيطان، وكذلك يطلق على سيد المجالس واترفها وأكرمها، واختيرت له زنة(مِفْعَال)لقوة دلالتها لانّها تدل على من اعتاد الفعل أو دام فيه لأنّ محاربة الشيطان تتطلب الدوام والاستمرار، أي: أنّ(محراب)أصلها صيغة مبالغة، ثم لقوة دلالتها في الكلام، استعير بها للدلالة على المكان الذي له خصوصية معينة هو الذي يكون لمحاربة الشيطان؛ لأنّ محاربة الشيطان تحتاج إلى استمرار دائم.

وكذلك ظهر لنا مِمّا تقدم أنّ صيغة(مِفْعَال)لم ترد ضمن ابنية اسمي المكان والزمان، إنّما جاءت(اسم آلة) وصيغة مبالغة.

هوامش البحث

(١) العين مادة (حربَ).

(٢) الجمهرة: ٢٧٢/١ (ح ب).

(٣) مقاييس اللغة: ٤٨/٢ (حرب).

(٤) الصحاح: ١٠٨/١ مادة (ح ب).

(٥) المخصص: ٦٠٥/٢ و٦١١.

(٦) لسان العرب: (حرب).

(٧) سورة آل عمران آية ٣٧.

(٨) سورة آل عمران آية ٣٩.

(٩) سورة مريم آية ١١.

(١٠) سورة (ص) آية ٢١.

(١١) سورة سبأ آية ١٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٣١٨/٣.

(١٣) المفردات في غريب القرآن: ٢٢٥/١.

(١٤) المحرر الوجيز: ٤٣٤/٩ – ٤٣٥.

(١٥) تفسير الكشاف: ٣٥٨/١.

(١٦) مجمع البيان: ٢٨٣/٢.

(١٧) مجمع البيان: ٤٠١/٦.

(١٨) مجمع البيان: ١٩٨/٨ – ١٩٩.

(١٩) تفسير الرازي: ٣٠/٤.

(٢٠) تفسير البيضاوي: ٢٠٥٨/٢.

(٢١) تفسير ابن كثير: ٢٦٤/٦.

(٢٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: /٤٤٢.

(٢٣) روح المعاني: ٢٢٤/٣، وينظر: روح المعاني: ٢٣٣/٣، ١٠٣/٩، ٢٦٢/١٣، ١٧٢/١٢.

(٢٤) التحرير والتنوير: ٢٩/٢٢ ، ٣٠.

(٢٥) الكتاب: ٨٩/٤، ٩٠.

(٢٦) ينظر: الأصول: ١٢٥/٣.

(٢٧) الكتاب: ٨٧/٤.

(٢٨) الكتاب: ٩٢/٤–٩٤.

(٢٩) الكتاب ٩٤/٤ – ٩٥، وينظر: الأصول: ١٥٠/٣، وشرح الشافية: ١٨٦/١ – ١٨٧، والمخصص: ١٩٩/١٤.

(٣٠) الكتاب: ١١٠/٤، ولفظ شرح الشافية ١٨٧/٢، والمزهر: ٢١٣/٢.

(٣١) ديوان الأدب: ٨٣/١.

(٣٢) أدب الكاتب: ٢٥٥، والفروق اللغوية: ١٢ – ١٢.

المصادر والمراجع

١- أدب الكاتب، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦ه)، تحقيق: الشيخ محيي الدين عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة، القاهرة ـــ مصر، ١٩٦٣م.

٢- الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج(ت٣١٦ه)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان، ١٩٨٧م.

٣- تفسير البيضاوي(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، عبدالله بن عمر البيضاوي(ت٦٨٥ه)، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ـــ لبنان.

٤- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت ـــ لبنان.

٥- تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤ه)، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر.

٦- تفسير الرازي(التفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي(ت٦٠٦ه)، المطبعة البهية، القاهرة ـــ مصر.

٧- تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي(ت٦٧١ه)، دار الكتب المصرية، القاهرة ـــ مصر،١٩٥٠م.

٨- تفسير الكشاف، للإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨ه)، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩- جمهرة اللغة، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد(ت٣٢١ه)، طبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٤٥م.

١٠- ديوان الأدب، لأبي ابراهيم إسحاق الفارابي(ت٣٥٠ه)، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر، ومراجعة الدكتور إبراهيم إنيس، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

١١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي(ت١٢٧٠ه)، قرأه وصححه محمد حسين العرب ، دار الفكرة ، بيروت ، لبنان ، د.ت.

١٢- شرح شافية ابن الحاجب ، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي(ت٦٨٦ه)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، ١٩٧٥م.

١٣- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري(توفي في حدود ٤٠٠ه)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

١٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ، أحمد بن يوسف بن محمود السمين الحلبي(ت٧٥٦ه)، حققه وعلق عليه: الدكتور محمد التنوجي،ط١، عالم الكتب، بيروت ـــ لبنان، ١٩٩٣م.

١٥- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥ه)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر دار مكتبة الهلال، بيروت ـــ لبنان،(د.ت).

١٦- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري(المتوفى نحو ٣٩٥ه)، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان.

١٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري(ت٧١١ه)، دار صادر، بيروت ـــ لبنان، ١٩٥٦م.

١٨- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي الفضل الطبرسي(ت٥٤٨ه)، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

١٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي(ت٤٥٢ه)، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ط ٢، دار الفكر العربي، دار الكتاب العربي، القاهرة ، مصر.

٢٠- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي(ت٤٥٨ه)، ذخائر التراث العربي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ـــ لبنان.

٢١- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا اللغوي(ت٣٩٥ه)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ـــ مصر، ١٣٩٩هـ.